



Makale Geliş Tarihi: 28.07.2018

Makale Kabul Tarihi: 20.11.2018

الصراع الحضاري في الرواية السورية بين 2000-2010 نماذج روائية مختارة

د. إبراهيم خليل الشبلي*

İbrahim Alshbli*

الملخص

تشكل العلاقة مع الآخر تحدياً كبيراً للذات، فقد حظيت تلك القضية باهتمام بالغ من المفكرين والأدباء العرب؛ لتطرح نفسها بوصفها إشكالية فكرية وأدبية حاولت الذات التعامل معها بوساطة مرجعيات ثقافية وفكرية وتقاليدي أدبية مختلفة، كان للخطاب الروائي الجراة الأكبر في التعبير عنها يتناول هذا البحث الأليات والوسائل الفنية التي عبرت بوساطتها الرواية السورية الصادرة بين 2000 إلى 2010 من خلال نماذج روائية مختارة عن أشكال الصراع الحضاري المتمثل بالعلاقة بين الذات والآخر، ومن تلك الأشكال معاناة العربي في الغرب، وعدم قدرته على الاندماج في المجتمع الغربي، وخصوصاً ما يتصل بالصراع الناتج من اختلاف القيم والتقاليد والعادات الاجتماعية بين الشرق والغرب، كما يدرس البحث مسألة الصراع المباشر الذي يظهر عبر مقاومة الذات للآخر المستعمر من جهة، ومقاومة الصورة المشوهة عن العرب والمسلمين في الغرب من جهة أخرى. يتبع البحث المنهج الوصفي الذي يقوم على أدوت من أهم التحليل والمقارنة، كما يفيد من تقنيات تحليل السرد الروائي مثل الزمان والمكان والشخصيات.

الكلمات المفتاحية: الصراع، الحضاري، الرواية، السورية، الذات، الآخر

ÖZET

Suriye Romanında Uygarlık Çatışması (Seçilmiş Roman Örnekleri- 2000-2010)

Karşı tarafla iletişim, birey için büyük bir restleşme meydana getirir. Bu durum kişiye kültürel, fikri otoriteler ve farklı edebi gelenekler aracılığıyla kendisiyle iletişime geçmesini sağlayıp kendisine fikri ve edebi sorunsal bir nitelik kazandırmak istemesiyle Arap düşünürleri ve ediplerinin derin dikkatine mazhar oldu. Roman dili bu sorunu ifade etmede en büyük cesarete sahipti. Bu araştırma, Suriye anlatısının zaman ve teknik açıdan geçirmiş olduğu aşamaları, uygarlık çatışması bağlamında kişinin kendisiyle ve diğerleriyle olan ilişkilerini 2000-2010 yılları arasında yayınlanmış örnek romanlar üzerinden incelemektedir. Bu sorunlardan Arapların Batıdaki problemleri, batı toplumuyla uyum sağlayamaması ve özellikle toplumsal değere haiz olan örf, adet ve geleneklerin batı ile çatışmasını gösterebiliriz. Çalışmamız ayrıca bir yandan kişinin sömürgeci olarak gördüğü batıyla çatışmasını yansıtırken diğer yandan bu sömürgeciye yanlış yansıtılan Araplarla müslümanların hakiki doğru yüzünü göstermeye çalışmıştır. Aynı zamanda araştırmanın en önemli niteliği analiz ve karşılaştırmaya dayalı açıklayıcı yaklaşım yanı sıra zaman, yer ve kişilikleri de tahlil ederek, roman anlatı tekniklerini analiz etmesidir.

Anahtar Kelimeler: Çatışma, Medeniyet, Suriye Romanı, Kişilik,

* أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، المعهد العالي للغات الحية، جامعة ماردین.

ABSTRACT

The Civilizational Conflict in the Syrian Novel between 2000-2010

The relationship with the other is a great challenge to oneself, and that issue has received the keen attention of the Arab thinkers and writers; to present itself as an intellectual and literary problematic that the self-tried to deal with the mediation of different cultural, intellectual and literary traditions to the novelist's most daring speech. This research examines the mechanisms and technical means through which the Syrian narrative has been expressed about the forms of civilizational conflict, namely, the relationship between one's self and the other, including the Arab suffering in the west, and its inability to integrate into Western society, especially in relation to the conflict resulting from different values. The social traditions and customs between East and West and the research examines the question of direct conflict that manifests itself through self-resistance to the other colonizer on the one hand, and resistance to the distorted image of Arabs and Muslims in the west on the other. The research follows the descriptive approach based on the most important analysis and comparison, as well as the techniques of novel narrative analysis such as time, place and personalities.

Key Words: Conflict, Civilization, Syrian Novel, Personality

مقدمة:

تُشكّل العلاقة مع الآخر تحدياً كبيراً للذات، فقد حظيت تلك القضية باهتمام بالغ من المفكرين والأدباء العرب؛ لنطرح نفسها بوصفها ((إشكالية فكرية وأدبية)) (1) حاولت الذات التعامل معها بواسطة مرجعيات ثقافية وفكرية وتقاليديّة أدبية مختلفة، كان للخطاب الروائي الجراة الأكبر في التعبير عنها.

وقد مثلت العلاقة مع الغرب إشكالية كبرى في الفكر العربي المعاصر؛ إذ أدت إلى انقسام العرب، فهم إما مُتمسكون بالماضي، واقعون تحت تأثير سلطة التراث، وإما علمانيون خاضعون لتأثير الغرب، أو توفيقيون يحاولون إقامة توازنٍ شبه مستحيل بين التراث والغرب، وهم في حالاتهم تلك أسرى لما هو خارج عن ذواتهم؛ إذ إنهم يعانون استلاباً أمام قوة الغرب، ممّا أفقد الذات العربية خصوصيتها، وحدّ من إمكانية تفرّدها واستقلالها (2).

ولعلّ مصطلحي (الشرق) و(الغرب) ((يستخدمان بشكلٍ مُشوَّش، ويُستهلكان بلا حدود، ويُستعملان أحياناً، في سياقاتٍ غامضة، مُنتجة، بذلك، صوراً نمطيةً مُلتبسةً عن الذات والآخر. لا يُنظر إلى الغرب في واقعيتّه ووجوده العيني، أي بوصفه مُختزناً بالتناقضات والاختلافات والمفارقات، بل يصبح قوةً مُنتجةً للأساطير والكلبيسيات والتصورات المغلوطة)) (3)، وهذا السلوك يفضي إلى ترسيخ الصور النمطية والمقولة حول الآخر، وتعزيز الانطباعات السائدة حوله في الثقافات المختلفة، ويُسهّم في ازدياد الهوية بين الشرق والغرب، وتقليص مساحات التفاهم والحوار؛ ذلك أنّه من ((المستحيل اختزال مسألة الهوية والاختلاف، الذات والآخر... في معطىٍ تفسيريٍّ واحدٍ، كما أنّها لا تُحيل على خزانٍ ثقافيٍّ، وإنّما على ثقافةٍ حيّةٍ، أو على النتائج المادية للثقافة، وعلى النشاط الذي يُنتج هذه القضايا ويستوعبها من خلال تجاوزها... لكن كم من تجاوزاتٍ ارتكبت باسم الحقّ في الاختلاف؟ وكم من مأسٍ واختلالاتٍ أحدثها هوسُ الهوية)) (4).

1- معاناة العربي في الغرب:

(1): مجموعة مؤلفين، صورة الآخر، العربي ناظراً ومنظوراً إليه، ص(811).
(2): ينظر: الانصاري، د.محمد جابر، الفكر العربي وصراع الأديان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1999، ص(645).
(3): أفاية، محمد نور، الغرب المتخيل، صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص(14-15).
(4): أفاية، محمد نور، الغرب المتخيل، صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، ص(8).

سأط الخطاب الروائي السوري الضوء على إشكالية جوهريّة في علاقة الذات بالآخر، تمثّلت فيما يقاسيه البطل في موطن الآخر من معاناة نفسية واجتماعية؛ إذ لم تحقّ رحلته إلى الغرب غايتها في الخلاص من الواقع المرير الذي عاشه في موطنه، بل على العكس من ذلك، سبّبت له مزيداً من الإحساس بالتمييز والشعور بالدونية إزاء المجتمع الغربي، الذي تحكّمه تقاليد اجتماعية وثقافية تعترض سبيل تأقلمه معه؛ لذا أخفقت محاولاته الحثيثة في أن يصبح جزءاً منه، وهذا ما لمسّه (الأخضر)؛ إذ أحسّ بالتمييز من الفرنسيين؛ لذا فهو ((يكرههم. مذ كان في باريس كان يرى تعاليمهم وصلفهم.. يعرفونك من مستعمراتهم، يعاملونك معاملة الإذلال والمهانة!! مرات عديدة ثار على مثل تلك المعاملة. خاصةً معاملة السود أولئك الذين جاؤوا من المستعمرات الإفريقية، وكلّ منهم يريد أن يُحصّل العلم، طبيباً أو مهندساً، فيزيائياً أو كيميائياً، لكن على أشواك التمييز العنصري)) (5). يُفصح المقطع السردى السابق عن صورة المجتمع الفرنسي، كما تنعكس في وجدان (الأخضر)، وقد ركّز الراوي على النواحي النفسية والاجتماعية لشخصيته، فطريقة تعامل الفرنسيين معه تركت أثراً في نفسه ووجدانه، وهو في قرارة نفسه يشعر بالذلّ والمهانة، وقد ناقشت الروايات المدروسة قضيةً مهمّةً مُتجذّرة في الغرب، وهي قضية التمييز العنصري، على أساس اللون، أو العرق، أو الانتماء الحضاري، فقد نظر الغربيون بازدراء نحو ذوي البشرة السوداء (6)، كما فرقت قضية التمييز العنصري نفسها بوصفها مقولةً مركزيةً في الرواية الأمريكية (7)، ولاسيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فقد عبّر (Muhammad Khan) بطل رواية (The Submission) عن صدمته من معاملة رجال الأمن له في مطار لوس أنجلوس، عندما كان على وشك المغادرة إلى منزله في نيويورك، فقد خضع لتفتيش دقيق، ولم يقف الأمر عند هذا الحد؛ إذ حُجز للاستجواب، وأخبره المحققون بأنّه إجراءً عاديّ يأتي في إطار الإجراءات الأمنية الاحترازية: ((- سأله المحققون عن مكان ولادته؟

-أجاب: ولدت في فيرجينا، التي تقع في أمريكا، ما معناه أنّي مواطنٌ أمريكيّ مثلكم.

-سأله أحدهم، هل تحبُّ هذا البلد، محمد؟

161

-كما تحبُّ أنت، وبالقدر الذي تحبه أنت)) (8)، وإذا كان (Muhammad) يعاني من التمييز في أمريكا، على الرغم من أنّه يحمل جنسيّتها، فإنّ قلق الأخضر إزاء معاملة الفرنسيين له يغدو مُسوَّعاً، ولاسيما في ظلّ التعالي والتمييز الذي يُمارَس في ذلك هناك، فكلُّ محاولات العربي للاندماج في ذلك المجتمع تصطدم بجدار التمييز والتعالي الذي يمارسه مجتمع الآخر عليه، ذلك السلوك الذي يترك أثراً عميقاً في وعيه، ويجعله يعيش أزمةً نفسيةً واجتماعيةً مريرةً، كما حدث ل(نبيل) في رواية (أول حب آخر حب)؛ إذ ظهرت معاناته في المجتمع الأمريكي، ذلك الفضاء المكاني والاجتماعي الذي شكّل مجرد الوصول إليه حلماً كبيراً للعديد من الشخصيات الروائية المُمثّلة للذات، إلّا أنّها أصيبت بخيبة كبيرة بعد أن أحسّت بالذلّ والإهانة هناك، ف (نبيل) تزوّج (مكي) طمعاً في الحصول على الجنسية الأمريكية؛ ليعيش ظروفًا اجتماعيةً وماديةً أفضل تضمن له السير في تحقيق ما جاء من أجله، وهو أن يكمل دراسته، إلّا أنّ زواجه منها كلفه مزيداً من الذلّ، وحملته كثيراً من الأعباء؛ إذ لم ينجح ((في دراسته. كان يسهر الليل وينام في النهار. غاب عن مقاعد الجامعة، ولكي يشغل وقته لجأ إلى العمل في المطاعم والبارات، فتحوّل من طالبٍ يبحث عن العلم، إلى مُدمنٍ على السهر والمُخدّرات. ازدادت نفقاته، ومُتطلّبات مكي والطفل من جهة،

(5): ناصيف، عبد الكريم، الطريق إلى الشمس (الجوزاء)، ص(319).

(6): ينظر: Melamd, Abraham, The image of the black in Jewish culture, a history of the other. first published by the dge Curzon. London, 2003, p(123).

(7): تتكرر الإشارة إلى ظاهرة التمييز والنظر بريبة في العرب والمسلمين في الرواية الأمريكية، ينظر على سبيل المثال:

Walter. Jess. The Zero (: Regan), 2006. P(37-63).

و (25) Abbott, Shirley. The Future of Love (Chapel Hill: Algonquin Books, 2008. P(39-46).

و DeLillo. Don. Falling Man, Scribner, New York. 2007. P(39-46).

و- (27) Safran Foer, Jonathan. Extremely Loud and Incredibly Close (Boston: Houghton Mifflin, 2005. P(27-29).

(8): Waldman, Amy .The Submission (: Farrar, Straus and Giroux, New York) 2011 p (26).

ومصاريفه التي تتصاعد كلما انغمس باللغو من جهة أخرى)) (9). يُصوّر الراوي/ المُبَيِّر الواقع الذي عانى منه (نبيل)؛ إذ يُقدِّم رؤيته؛ ليرصد ما يعانیه (نبيل)، وعلى الرغم من أنه غير مُشاركٍ في الحدث، فإنّه يقوم بتوجيه السرد ونقل الأحداث، وتصوير واقع الشخصيات في الفضاء الجديد الذي انتقلت إليه (أمريكا)، وقد استخدم □ مير الغائب، الذي يو □ ج أنه يقدم الرؤية السردية من الخارج، وأن السرد، هنا، مو □ وعي، فالرؤية ((تجسّد من خلال منظور الراوي لمادّة القصّة، فهي تخضع لإرادته ولموقفه الفكري، وهو يُحدّد بوساطتها، أي بميّزاتها الخاصّة، التي تُحدّد طبيعة الراوي الذي يقف خلفها. فهما مُتداخِلان ومُترابِطان، وكلّ منهما ينهض على الآخر، فلا رؤية بدون راوٍ، ولا راوٍ بدون رؤية، وينعكس هذا التداخل بصورة مباشرة على بناء المادّة القصصية، فالرؤية تُحدّد إلى درجة كبرى نوع البناء، ونمط العلاقات بين العناصر الفنية، لسبب أساسي، وهو أنّها تمتلك هيمنة شبيهة مُطلقاً على تلك العناصر)) (10). يظهر (نبيل) بوصفه قطباً دلاليّاً يُمثّل (الذات)، وتظهر (ميكى) بوصفها قطباً دلاليّاً يُمثّل (الأخر)، وتبدو عبر المسرد طبيعة المجتمع الأمريكي المُستغَلِّ، والذي يتبلور، هنا، في شخصيتها؛ إذ يُوكّد الراوي أنّيتها واستغلالها له، فهي ((لا تعرف أن تحبّ سوى نفسها، فلا شيء يستحقّ الأهمية، عدا تأمين مستلزمات الحياة. كلّ الأمور تنتهي أخيراً. الفرح والحزن. البسيط والمُعقّد. أتنام أو تعمل؟ أتحنن ابنها أم تربيه أمّها؟ النتيجة واحدة. المُهمُّ أن تتصرّف بما تُمليه عليها اللحظة. متناسية ما مضى مُتجاهلة ما هو مُقبِل. لا يهّمها أن ينجح نبيل في دراسته أم لا. يهّمها في الدرجة الأولى الاستيلاء على ما في جيوبه)) (11). يُقدِّم الراوي وجهة نظره بوساطة الخطاب المسرود؛ إذ يُصوّر معاناة نبيل من أنّية (ميكى) واستغلالها له، فهي لا تكتث لمستقبله ودراسته، ولا تُقدِّم له أيّة مُساندةٍ ليحقّق ما جاء من أجله؛ لأنّها لا تريد من زوجها منه سوى أن تستولي على ما في جيوبه؛ لتتركه يعيش صراعاً نفسياً مريراً، وإذا كان للزواج أثر كبير في إحساس المرء بالاستقرار، فإنّه يصبح في الغرب مصدرراً للعذاب والمتاعب، تتسبّب فيه التقاليد الاجتماعيّة، التي تحك علاقة الفرد مع محيطه، ولم تستطع (هند) أن تتأقلم مع المجتمع الأمريكي، فقد ((تعوّدت على الحياة في أمريكا، أو أنّ أمريكا هي التي عوّدتها على نمط من حياة، خلقت منها إنساناً آخر، شبّهت جسدها لآلة لا تعرف الهدوء، أو السكينة، فهي تملك روحاً وجسداً، تلك الروح التي لم تستطع أمريكا التوصل إليها، ولم تستطع أن تنتزع من أعماقها حبّاً وأحلامها التي نمت في الوطن، فهي تعيش الواقع والحلم معاً، وتعلم أنّهما لن ينفصلا أبداً)) (12). يُقدِّم الراوي وجهة نظره عبر الخطاب المسرود، الذي يعبر عن حالها وهي تعاني انفصاماً نفسياً عن موطنها الجديد (أمريكا)؛ لتعيش صراعاً كبيراً بين ما تريد أن تكون، وما فر □ ه عليها الفضاء الاجتماعي الذي تعيش فيه، ويتوسّل الراوي لتقديم وجهة نظره بمستويات مُتعدّدة، يتّصل المستوى الأول، هنا، بالراوي العالم بكلّ شيء، الذي يُحكّم السيطرة على عالمه الروائي، ويتخلّل في صياغته وتشكيله، ويعرف معرفة تامّة أدقّ التفاصيل المُتصلة بالشخصيات وردود أفعالها؛ إذ تُنظّم رؤيته الموقعية حركة السرد، والأحداث، والشخصيات، والفضاء، والمكان، والزمان، ويتّصل المستوى الثاني بالرؤية الذاتية، وهي المُقدّمة عبر الشخصيات، وردود أفعالها وموقفها من الآخر، ويتّصل المستوى الثالث برؤية سردية مُقدّمة بوساطة الخطاب المعروف، وهذه المستويات في تداخلها وتضافرها تُسهم في إنتاج الرؤية وتقديمها. وتتكرّر صور الابتزاز الذي يعاني منه العربي في الغرب، ولاسيّما في زواجه من الأمريكيّة طمعاً في الحصول على الجنسيّة، وهذا ما واجهه (زاهي) بعد أن تزوّج من (ساندي)، فقد حافظ ((على تحقيق أهمّ شرط، في معاهدة زواجه من ساندي، وهو احترام البيت الذي يجمعهما، فأنتت علاقاته بعيداً عن العيون. لكنّ ساندي التي لا تصحو من الخمر إلا لتشرب ثانية، أخلّت بالشروط، فحدث الشجار بينهما، وكان أن عاد زاهي ليكتشف أنّها في الداخل بصحبة أحد الرجال. ذُهل في البداية، ثمّ غضب. فتح الباب ورماها خارجاً. أمّا هي فقد واجهته بما لا يُقارن بهذه الدولارات القليلة التي يرميها لها، حرّيتها التي لا تبيعها بثمن، ومنذ تلك

(9): رشو، ماري، أول حب آخر حب، ص(90).

(10): إبراهيم، د. عبد الله، المتخيل السرد، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت، ط1، 1990، ص(62).

(11): رشو، ماري، أول حب آخر حب، ص(91).

(12): رشو، ماري، أول حب آخر حب، ص(202).

الحادثة ابتدأت عملية الابتزاز...⁽¹³⁾. والإلحاح على تصوير ما تتعرض له الشخصيات الممثلة للذات من استغلال وابتزاز يُظهر معاناة العربي في المجتمع الأمريكي، كما هو حال (هند)، التي أحست بالضياع والاعتراب فيه، تقول مخاطبةً (جاد): ((إنه الخوف يا جاد الصغير، خفت التشرّد والضياع، خفت من عالم جديد لا يمتُّ لجذوري بصلّة، من الصعب شرح هذا، وكيف هو، أو كيف يكون؟ شيء يشبه الوطن والتشبيث بالأرض))⁽¹⁴⁾. مشكلة الاندماج في المجتمع الأمريكي تُؤرقها، وتجعلها غريبة في مجتمع لا يمتُّ إلى جذورها بصلّة، وهنا، ينتقل الراوي من الخطاب المسرود إلى الخطاب المعروض، عبر (الحوار)، ويأتي هذا التوظيف للعرض غير المباشر (حوار الشخصيات)؛ ليكشف معاناة الذات وعذابها في المجتمع الغربي، وتتكرّر هذه الصورة في غير موافق من الرواية*)؛ لتؤكد هذه القضية التي احتلت مساحات واسعة من الخطاب السردي. وينقل لنا الراوي في رواية (سهرة تتركبة للموتى)، معاناة (ناجي)، الذي أخفق في أن يصبح فرنسيًا، على الرغم من حصوله على الجنسية الفرنسية، يقول: ((لقد حملت الجنسية الفرنسية، لكنني لم أنجح في أن أصير فرنسيًا في أمور عديدة، أهمها نظرتي إلى الأسرة. ما تزال قناعاتي الشريفة عن مهنة الزوجة كريمة منزل فقط، وارتباط الأولاد بأهلهم وأسرهم مهما تقدّموا في السن، كارتباطي الوثيق بأمي وبقية أفراد أسرتي، مهما سخروا مني.. ولا أطيق أن تسهر ابنتي الشابة لو كانت لي ابنة مع صاحبها وتعاشره وتسلكه دونما زواج، فثلثت في التكيف مع المجتمع الفرنسي، فأحدثت قراراً بعدم تأسيس أسرة هناك))⁽¹⁵⁾. يصف المقطع السردي السابق مشكلة (ناجي) ومعاناته بسبب اختلاف القيم بين موطنه، وقيم المجتمع الفرنسي، التي تتعارض بشكل كبير مع ما ترسخ في وعيه من قيم وتقاليد، فمشكلة الاندماج من أبرز التحديّات التي تواجه الذات، ويؤكد الراوي الفكرة ذاتها عبر مونولوج (ناجي)، وهو يتحدث عن معاناته في (باريس): ((في مدينة شاسعة اسمها باريس، أحمل جنسية دولتها لكنني أشعر في كلّ مكان فيها، كما يشعر (ابن الحرام) في اللقاءات العائلية الحميمة: إنّه منهم وليس منهم، وينظرون إليه شذراً، وإذا لاطفوه فترفعاً منهم واستعراوا إنسانيتهم على شائسة اختلافه، كما كان يكرّر ذلك الشاعر كلّما ثمل))⁽¹⁶⁾. توسّل الراوي العالم بكل شيء بالمونولوج؛ ليقدّم رؤيته السردية، وينقل معاناة (ناجي) في فرنسا، ويصوّر أحاسيسه، وموقفه من الآخر، كما يرصد معاناته في الفضاء الاجتماعي والجغرافي الجديد، الذي يعاني فيه من إشكالات كثيرة في مقدمتها مشكلة الاندماج في الغرب، وهذا ما عرفه الراوي عبر المسرود الذاتي، الذي جاء على لسان (عبد الكريم الخوالقي)، فقد وصف ما لاقاه من آلام ومعاناة في (باريس) من علاقات وتقاليد اجتماعية تختلف عن منظومة القيم التي تربى عليها، يقول: ((ما الذي أصابني منذ اليوم الذي فرحت فيه لحصولي على عمل في فندق نصف عربي في باريس بعد بطالة مريرة في بيروت؟ وكيف غضبت عليّ أُمّي لزواجي من فرنسيّة، وقاطعتني شقيقاتي ووالدي، وحملوني مسؤولية وفاتها بسكتة قلبية مفاجئة ليلة عرسي بالذات))⁽¹⁷⁾. يصف الراوي الحدث ولا يتدخل فيه؛ ليصوّر معاناة (عبد الكريم) بعد أن قاطعه والده وإخوته وحملوه مسؤولية موت والدته بسبب زواجه من فرنسيّة، ويرى عبد الكريم أن مصدر عذابات عدم القدرة على الانسجام مع المجتمع الفرنسي، وهذا ما أكدّه الراوي، فقد قدّم لنا موقف (خليل النرع) الذي طالما مثّل له الغرب فضاءً مغريباً كان يحلم في أن يجد فيه ما افتقده في الوطن، إلّا أنّ ذلك الفضاء بكل ما فيه أصبح سجنًا كبيراً، وهذا ما جاء على لسانه في حوار مع (فواز): ((أعرف كم الحياة في المنفى مهينة. لن أنسى يوماً أيامي البائسة في جنيف ودّلي))⁽¹⁸⁾. مسألة الزواج من الأجنبية تُؤرق كثيراً من أبناء الجاليات العربية، ولاسيما أنّ الرجل الشرقي لا يرى في ذلك الزواج أيّة مزايا له، فهو صفة خاسرة بالنسبة إليه، في ظلّ التفتك الأسري، الذي يجعل كلّ فردٍ من أفراد العائلة يرفع شعار (رَبِّي أسألك نفسي) على حدّ تعبير

⁽¹³⁾: المصدر السابق، ص(73-74).

⁽¹⁴⁾: رشو، ماري، أول حب آخر حب، ص(114).

* ينظر: المصدر السابق الصفحات (9، 15، 36، 51، 73، 91، 96، 127...).

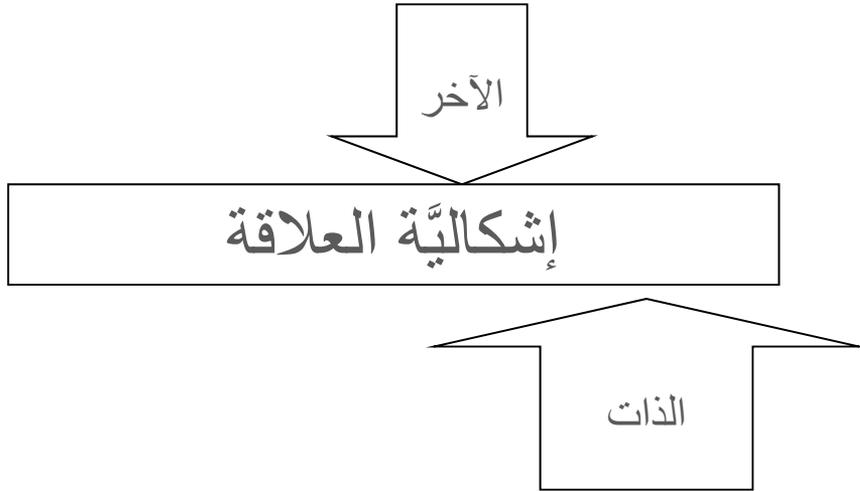
⁽¹⁵⁾: السمان، غادة، سهرة تتركبة للموتى، منشورات غادة السمان، بيروت، ط1، 2003 ص(44).

⁽¹⁶⁾: السمان، غادة، سهرة تتركبة للموتى، ص(79).

⁽¹⁷⁾: المصدر السابق، ص(42-43).

⁽¹⁸⁾: المصدر السابق، ص(268).

(ناجي)(19)، فضلاً عن مسألة المُساكنة، التي تُتيح للمرأة أن تحمل خارج إطار الزوجية، وهو أمرٌ يتعارض مع كلِّ القيم والمبادئ التي تربي عليها العربي(20). وتتعدّد صيغ السرد من المسرود المباشر، إلى المنقول المباشر، إلى الخطاب المعروض، وهذا يشير إلى أهمية هذه القضية، وإلى سعي الراوي لتقديم رؤيته بكلِّ الوسائل الفنية المُمكنة، ذلك أنّ الانتقال من صيغة سردية إلى أخرى، ليس لغاية جمالية فحسب؛ أي تفكيك وتيرة السرد وتكسيروها بإدخال صيغ سردية أو تضميناتٍ على الصيغة الأصل، بل يتعدّى ذلك؛ لتؤدّي التبدلات السردية دوراً مهماً في تطوير الأحداث، ومنحها دلالاتٍ عميقة(21). ويمكن التعبير عن إشكالية العلاقة بين الذات والآخر بالشكل الآتي:



ومهما يكن من أمرٍ، فقد توسّلت الروايات المدروسة بوسائلٍ فنيةٍ مختلفةٍ للتعبير عن إشكالية العلاقة مع الآخر، كما سلّطت الضوء على ما لاقاه البطل من معاناةٍ في الغرب؛ إذ صوّرت الاختلاف الكبير بين المفاهيم والقيم والتقاليد الاجتماعية، التي تحكم علاقة الإنسان بمحيطه في المجتمع الغربي، وما ترسّب في وعيه، وأشارت كذلك إلى مسألة زواج العربي من الأجنبية، وما يربّبه على عاتقه من أعباءٍ وهمومٍ ومعاناةٍ نفسيةٍ واجتماعيةٍ، وقد أفضى ذلك إلى صعوبة اندماجه في المجتمع الغربي.

2- الصراع بين الذات والآخر:

طرحت علاقة الذات بالآخر نفسها بوصفها إشكالية مركزية في العلاقات الحضارية، وأثارت جدلاً واسعاً بين الشرق والغرب، فقد ذهب بعض المفكرين الغربيين، وفي مقدّمتهم صمويل هنتغتون إلى القول بـ(صدام الحضارات)؛ إذ رأى أنّ أية علاقة بين الحضارات تقوم على أساس الصراع، وأنّ الحسم في تلك القضية لا يتمُّ إلا بانتصار طرفٍ على الآخر، وإخضاعه بشئى الوسائل(22)، وهذا من شأنه أن يُربِّخ الصور السلبية والمشوّهة عن الآخر؛ إذ ((لا تفتأ الصورة السلبية اللا مو □ وعية، غير الواقعية، الصورة المشوّهة أن تبرز من جديدٍ حينما نتوقّع أنّها اختفت، فتحدث اهتزازاتٍ في مرتكزات القيم والأفكار التي بدأت تترسّخ في الشرق عن إنسانية الغرب وفضله على العالم. هذه الاهتزازات بدأت تطرح تساؤلاتٍ حول مصداقية المفاهيم السائدة ونظريات التحليل. وقد بدا جلياً للشرق أو للغرب، أنّ اتّخاذ الأحكام والتقديرات والإجراءات على مستوى توزيع الأدوار وتقسيم العالم وتنظيم المشاركة، إنّما أصبح محكوماً

(19): ينظر: السمان، عادة، سهرة تنكزية للموتى، ص(18).

(20): ينظر: المصدر السابق، ص(45).

(21): ينظر: يقطين، د. سعيد، تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التبئير)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- بيروت، ط4، 2005. ص(212) وما بعدها.

(22): ينظر: هنتغتون، صمويل، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قصوه، كتاب سطور، القاهرة، ط2، 1999، ص(24) وما بعدها.

بموازين القوة وبالتفان لئمة الحضارية، التي تتخذ أشكالاً عديدة، سياسية، وثقافية، ومعرفية...)) (23)؛ لذا، فإن الصراع مع الآخر يغدو مُسوَّغاً في إطار تلك العلاقة القائمة على مبدأ النصر أو الهزيمة، ولاسيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، والغزو الأمريكي للعراق 2003، وما ترتب على ذلك من ردود أفعالٍ كبيرةٍ من العرب والمسلمين في مختلف أرجاء العالم. وهناك من يرى أن ((التفاوت في القوة والصراع للسيطرة على القوة العسكرية والاقتصادية والمؤسسية يُعدُّ أحد مصادر الصراع بين الغرب والحضارات الأخرى، وتُمثِّل الاختلافات في الثقافة؛ أي في القيم والمعتقدات الأساسية مصدراً ثانياً للصراع)) (24)، من ذلك المقارنة التي أكدتها أعمال الصهيوني (عاموز عوز) بين المستعمرة الخضراء، التي تُمثِّل العمل الإبداعي (الصهيوني)، والجبل الكئيب، الذي يُمثِّل التهديد العربي بالانقراض على الصهاينة المساكين، وقد أظهرت رواياته العربي بوصفه متخلفاً، وشريراً، ووحشاً يترصص بالصهاينة المسالمين، وقد وظَّف كلَّ الإمكانات الفنية لتسويه صورة العربي، بل إنَّه سعى إلى ترسيخ الصورة المُشوَّهة عن العرب، ولاسيما في أعماله القصصية المُوجَّهة إلى الأطفال؛ لينبئ مشاعر الحقد والعداء للعرب في نفوس الأطفال (25).

وقد عمدت معظم وسائل الإعلام في الغرب إلى الربط بين الإرهاب والإسلام؛ لترسيخ فكرة الصراع بين الغرب والإسلام، وهذا ما تجلَّى في الروايات المدروسة، فقد ظهر صراع الشخصيات المُمثَّلة للذات مع الشخصيات الأجنبية المُمثَّلة للآخر؛ إذ عبَّر الراوي في رواية (جنود الله) عن الصبغة الدينية التي تصمَّنها المنشور الذي أرسله القس الأمريكي (باركلي) إلى (ميللر) وبقية جنود الاحتلال الأمريكي في العراق، وقد تفاجأ من مضمون المنشور، الذي احتوى ((على تنبيه موجَّه إلى ميللر شخصياً، مع تحذير شديد للجهة، يُسبغ على الحرب أوصافاً دينية، حرب أميركا المسيحية □ د العرب والمسلمين!!

- ليس النزاع على أرض، ولا على النفط، ولا على إعادة تشكيل الشرق الأوسط، أو إحلال الديمقراطية... بل على شيء لا يمكن التفاهم ولا التفاوض حوله؛ إنَّه القضاء على الشر، بالتخلُّص من المسلمين، عهدنا مع الربِّ يُخوِّلنا إخفاءهم، عهد لن ننكث عنه، ما دام الله معنا)) (26). اصطبغ الخطاب في هذا المقطع السردية بصبغة دينية، فقد عبَّر الراوي عن وجهة نظره عبر منشور (باركلي)، الذي حاول تفسير الهدف الحقيقي من غزو العراق واحتلاله، وهو التخلُّص من العرب الأشرار. وتكرَّر هذه الصورة في ذلك المنشور؛ إذ يعرض (باركلي) صورةً تفصيليةً لتلك الحرب المُقدَّسة - المزعومة - يقول مُخاطباً (ميللر): ((أنت مدعوٌ لإنفاذ إخوانك جنود الربِّ، الذين كرسوا حياتهم لهذه المعركة، لقد تطوَّعوا لمحاربة جيوش الشيطان، فلا تُعاكسهم، لأنَّ تكون من قوى الدجال وأنت لا تدري، فكفَّ عمَّا تُحاول أن تُصقِّه بهم من آتِّهاتٍ، لقد قاموا بواجبهم أمام الله في حرب الحياة والموت، حرب لن تتوقَّف إلا بتدمير مدن الإسلام، نحن لم نهجر بلادنا وبيوتنا، ونترك زوجاتنا وأولادنا، وأسلوب عيشنا الرغيد، ونكبدَّ عناء قطع آلاف الأميال وعبور المحيطات للوصول إلى هذه الصحارى الشاسعة والبشر المُتخلفين الذين يكرهوننا، ولا يتورَّعون عن سفك دماننا، إلا لنُقِّم لهم الموت)) (27). يؤكد (باركلي) قدسية الحرب على العرب، كما تظهر رغبته في □ فاء الصبغة الدينية عبر توظيف بعض العبارات السردية (جنود الرب، محاربة جيوش الشيطان، حرب لن تتوقَّف إلا بتدمير مدن العرب...)، فضلاً عن تشويهِه صورة العرب، ويظهر ذلك في جوابه عن سؤال أحد جنود المارينز حول الجيوش المتحاربة، فأجاب: إنَّ جنود الخير تضمُّ الأمريكان والأوروبيين والإسرائيليين، وأمَّا جنود الشرِّ فهم العرب والمسلمون، وأنَّ الغلبة ستكون لجيوش الربِّ (28). تُعبِّر وجهة النظر المُقدَّمة في المقاطع السردية السابقة عن صورة الآخر (الأمريكي)، الذي لا يرى العرب إلا من زاوية الصراع على المستويات السياسية والعسكرية والفكرية والاقتصادية.. ويستمرُّ

(23): مجموعة مؤلفين، صورة الآخر، العربي ناظراً ومنظوراً إليه، ص (434).

(24): هنتغتون، صمونيل، الإسلام والغرب، أفاق الصدام، ترجمة مجدي شرشر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1995، ص (44).

(25): ينظر: هلسا، غالب، نقد الأدب الصهيوني، دراسة إيديولوجية نقدية لأعمال الصهيوني عاموس عوز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1995، ص (18).

(26): حداد، فواز، جنود الله، دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط1، 2010، ص (212).

(27): المصدر السابق، ص (213).

(28): ينظر: حداد، فواز، جنود الله، ص (256).

القس في تشويه صورة العرب والمسلمين في محاوراته بالجنود، ولكن إحدى المحاورات ((لم تعجب كابورالاً زنجياً. وقف قائلاً، إن ما يعرفه عن الإسلام أنه دينٌ مثل المسيحية واليهودية، المسلمون يعبدون الرب نفسه، ويصلون مثل الآخرين ودينهم يردعهم عن الأعمال السيئة!!

- إذا كان الإسلام ديناً فهو من أحب الأديان...

- لَوْح الكابورال برأسه غير مُصَدِّقٍ وقال:

- أنت لا تقول الحقيقة)) (29). يُحاكِم الكابورال الزنجي ما أدعاه القس وما أورده من آراءٍ تحاول تشويه صورة العرب والمسلمين في أذهان الجنود الأمريكيين، وكأنَّ الراوي أراد أن يثير قضيةً مهمَّةً، وهي أنَّ تشويه صورة العرب فعلٌ مُعمَّدٌ، وليس ناتجاً عن سوء الفهم، فالقس يعلم حقيقة الإسلام، ولكنه يصرُّ على تشويهه، طالما أنَّ الإسلام بالنسبة إليه دين الأعداء، ولا بدُّ من حسم الموقف معهم عبر الصراع، فلا مجال للحوار أو التصالح معهم.

المُتأمل في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، يجد أنَّ ((كلَّ فترةٍ من فترات التاريخ الجدلي لعلاقة (الشرق) و(الغرب). تفرز نمطها الصراع، وأنَّ لحظات التفاهم والهدنة والاعتراف تبدو نادرة أو عابرة)) (30). ويُصوِّر الراوي في رواية (الطريق إلى الشمس، الجوزاء) حال (البطحيش) وما أصابه من قلقٍ وحيرةٍ، فقد تكاثرت الأعداء أمامه، ولم يعد يعرف أيهم يقاتل، فقد (سأله عزيز (ما بك؟) أجاب أنا حائرٌ، بلدي هنا يدعوني كي أقاتل الفرنسيين وأناجزه، بلدي هناك يدعوني أيضاً.. فلسطين تدعوني يا عزو... الخطر داهمهم والمؤامرة عليها قاتلة، فهل أذهب إليها أم أبقى؟ هل أقاتل مع الذين يقاتلون فيها عدوِّين لدوين: الإنكليز واليهود.. أم أطلُّ هنا أصارع الفرنسيين)) (31). حديث (البطحيش) يُظهر تكاثر الأعداء على الأمة العربية، فكلُّ منهم يريد إخضاعها والسيطرة عليها بقوة السلاح، ولكنَّ الراوي لا يكتفي بالإشارة إلى الصراع مع الآخر الذي يحاول القضاء على الذات وطمس هويتها، بل يتطرَّق إلى مسألة الاختلاف في القيم بين الشرق والغرب، وهذا ما جاء على لسان (جانيت) في حوارها مع (الأخضر)، التي عرِّت عليه أن يتزوَّجها، لكنَّه رفض خشية تفرغ أهله وأصدقائه وعدم قبولهم لتلك الفكرة، تقول (جانيت) مخاطبةً إيَّاه: (إذن، هو عقل الشرق: يقبلني صديقةً لكنه يرفضني زوجةً، قالت، وكثيرٌ من العتب في عينها.

جانيت، أرجو أن تفهميني، ردَّ الأخضر، وفي صوته تلعثمٌ وفي عينيه خجلٌ وحيرةٌ. لو كنت في باريس لما كانت هناك مشكلةٌ. لكن أنا هنا في الشرق، حيث الما ي والحا ير يعيشان معاً، وعلى سطح واحد... أنت بنفسك رأيت ذلك. الما ي جزءٌ لا يتجزأ من الحا ير، فكيف لأحدنا أن يتجاوزَه، كيف له أن يُغفله؟

-كيف نُغفله هناك؟ كيف نتجاوزَه؟

-لأنكم الغرب ونحن الشرق.. الشرق الذي يضرب بجذوره عميقاً في التاريخ، فينشُد إلى التاريخ، يسحره الما ي أكثر من الحا ير فيعيش الما ي أكثر من الحا ير (32). يظهر أثر الفضاء الاجتماعي في تحديد تصوُّرات الشخصيات وردود أفعالها؛ إذ بدا (الأخضر) عاجزاً عن إيجاد مُسوّغٍ مُقنعٍ حول الاختلاف الكبير بين الشرق والغرب، فقد بقي أسيراً للواقع الاجتماعي الذي يعيش في ظلِّه، وإذا كان الواقع الاجتماعي مرجعاً خارجياً، فإنه ((يتمثَّل مرجعاً داخلياً بمسروود يتشكَّل في علاقاتٍ بنائيةٍ داخل النص. إنَّ الشخصيةً مثلاً، التي هي مكوِّن أساسيٌّ من مكوِّنات السرد الروائي، إنَّما تتبني داخل عالمها وتتحقَّق بعلاقةٍ مع مرجعٍ هو شخصٌ مُفترَضٌ ينتمي إلى العالم المرجعي، أو إلى الحياة بما هي واقعٌ اجتماعيٌّ، تُحيل عليه الشخصيةُ، لدى القراءة، بالدلالة، أو الإيحاء الذي تُمارسه هذه الشخصيةُ بمنطوقاتها وسلوكياتها، ومجمل علاقاتها المُتحقِّقة في زمانٍ ومكانٍ، والقائمة على مستوى مُتخيلٍ يروم بنية شكلٍ

(29): المصدر السابق، ص(257-258).

(30): آفاية، محمد نور، الغرب المتخيل، صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، ص(14).

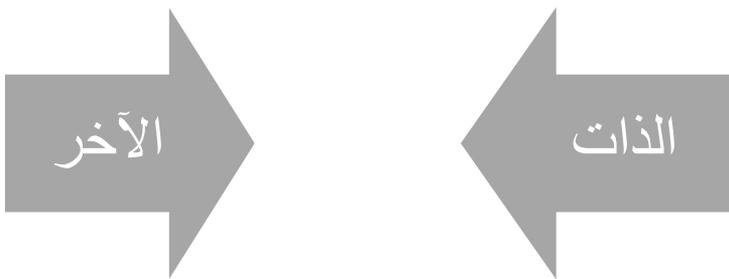
(31): ناصيف، عبد الكريم، الطريق إلى الشمس (الجوزاء)، ص(33).

(32): المصدر السابق، ص(329).

تُكسبه فنّيته طابعه الحقيقي، ونشي جماليتها بقيم منظوره)) (33)، وقد أراد الراوي أن يُؤكّد الصراع الذي يسم العلاقة بين الشرق والغرب عبر حوار (الأخضر) و(جانيت)، التي تقول مُخاطبةً إيّاه: ((لم يعد أحدٌ يؤمن بمثل هذه العادات !! أعراس !! أياماً وليالي لماذا! الفتى عندنا يضع يده بيد الفتاة ويذهبان إلى الكنيسة أو السجل المدني، يسجّلان زواجهما وينتهي الأمر..

- هو ذا الفرق بيننا، شرقٌ وغربٌ" كادت تقول له كما قالت ذات يوم للكابيتان جيرار "الشرق شرقٌ والغرب غربٌ ولا يلتقيان" (34). تقر جانيت بأن الاختلاف بين الشرق والغرب عميق، وأن المسافة التي تفصلهما شاسعة.

يُصوّر الراوي في رواية (أعدائي)، حيرة (إبراهيم) من واقع العرب؛ إذ يقول مُخاطباً أباه: ((والله العظيم نُحسُّ أننا دائخون لا نفهم ما يجري. يا ليتها كانت حرباً صليبيّة. كنّا فهمناها. مسيحيون □ دّ إسلام. أوروبيون □ دّ مشرقيين. كانت سهلة. ولكن مسلمون وفرنسيون يهاجمونا ومسلمون وألمان يدافعون عنّا. عربٌ في الجيش الإنكليزي وفي جيش الشريف يهاجمونا. وعربٌ في الجيش العثماني يقاومونهم. خليفة المسلمين في إسطنبول يعلن الجهاد المُقدّس باسم الإسلام. والشريف حسين، سليل الرسول، يعلن الجهاد □ دّ العثمانيين... احك لماذا لا تحكي)) (35). تشي العبارات السردية (دائخون لا نفهم ما يجري، كنّا فهمناها، لماذا لا تحكي) بحال □ طراب التي وصل إليها العرب والمسلمون، الذين انقسموا إلى فريقين متقاتلين، كلٌّ إلى جانب حليفه، وكلٌّ منهما دوافعه ومُسوِّغاته التي يُقيّمها لخوض تلك المعركة، وقد توارى الراوي خلف شخصيّة (إبراهيم)، وقام بتسجيل مصاحبات هذا الخطاب المعروض، وما ينطوي عليه من دلالاتٍ تتصل بمضامين الرواية السردية، التي عبّرت عن الصراع الذي يسم العلاقة بين الشرق والغرب، وهو ناتجٌ عن عدم التواصل الحضاري البتاء، فليس ((لأنّ الشرق شرقٌ والغرب غربٌ لم يلتقيا، وإنما لأنهما لم يلتقيا قيل إنّ الشرق شرقٌ والغرب غربٌ. وفي الواقع، إنّ المسألة مسألة تاريخ، لا مسألة جغرافيا. والتاريخ لا يعرف غير التبدّل والتحوّل قانوناً، ولا يقرُّ للأرض إلا بالكروية، لا بالانقسام إلى جهاتٍ أربع. ولولا التاريخ، ولولا قانون التطوّر المتفاوت للتاريخ، لما تكرّس وجود غربٍ وشرقٍ، أو شمالٍ وجنوبٍ في كيانٍ مُفصّلة. والشرق لم يحتلّ مكانه نزولاً عند حكم الجغرافيا، وإنما نزولاً عند حكم التاريخ)) (36)، يتعمّق الصراع بوساطة التوظيفات على مستوى الأحداث والشخصيات؛ ليؤكد ما استقر في خلد كلّ من الشرقي والغربي من تصوّراتٍ وأحكامٍ مُسبقّةٍ سلبيةٍ في غالبيتها، ويُعدُّ ذلك من مفرزات التاريخ والصراع القائم بين الشرق والغرب، وهذا الرفض المُتبادل، يشير إلى الهوة الكبيرة بين الذات والآخر، وإلى انعدام فرص التواصل أو التصالح بينهما (37). ومن الممكن أن نعبر عن الصراع بين الذات والآخر في الشكل الآتي:



(33): العبد، ديمنى، الرواية العربية، المتخيل وبنية الفنية، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011، ص(35-36).

(34): ناصيف، عيد الكريم، الطريق إلى الشمس (الجزء)، ص(95).

(35): عدوان، ممدوح، أعدائي، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2000 ص(340).

(36): طرابيشي، جورج، شرق وغرب، رجولة وأنوثة، دار الطليعة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط4، 1997، ص(191).

(37): ينظر: بطاينة، جودي، شخصية الآخر في الرواية في الأردن، ص(173-174).

عالجت الروايات المدروسة موضوع الصراع بين الذات والآخر من زوايا مُتعدّدة، فقد أشارت إلى الصراع في إطار السيطرة ومحاولة إخضاع الآخر بالقوّة، وصوّرت الصراع الناجم عن الاختلاف في التقاليد الاجتماعيّة والمفاهيم بين الشرق والغرب، كما أدّى اختلاف الفضاء الاجتماعيّ دوراً مهمّاً في تغيير المشاعر والانطباعات وردود أفعال الشخصيات إزاء الآخر، وظهرت قضية مهمّة، وهي مسألة التصوّرات والأحكام المُستبقة المُترسّبة في وعي كلّ من الطرفين حول الآخر، والتي أدّت إلى تأجيج الصراع الحضاري بينهما.

3- سرد الذات وإشكاليّة الهوية:

نظرة الذات إلى الآخر تختلف باختلاف المرجعيّات الثقافيّة والفكريّة والسياسيّة والاجتماعيّة التي تدخل في تكوينها، ولعلّ هذا الاختلاف يقودنا إلى التساؤل عن نظرة الذات إلى نفسها وإلى المجتمع الذي تعيش فيه، ولاسيّما في ظلّ التفاعل مع الآخر، والتحدّيات التي تواجهها، وفي مقدّماتها، العولمة، التي كادت تصف بالخصوصيّات القوميّة، لتنتج نمطاً مختلفاً من التفاعل والتواصل الحضاري يقوم على الاستهلاك، الذي يجعل المجتمعات الأضعف غير قادرة على المواجهة الحضاريّة، والأهمّ من ذلك ((أن قراءة العولمة بلغة الهوية ومنطق الغزو، لا تخلو من الخداع والسذاجة. ذلك أن الذين يُحدّثوننا عن الغزو الثقافي، يتغافلون عن كون الثقافة الحيّة والمُتجدّدة، المزدهرة والفعّالة، إنّما هي قدرتها على الانتشار والتوسّع والاختراق، على سبيل الخلق والإنتاج أو الابتكار)) (38)، ولكنّ قدرة أيّة ثقافة على الإبداع والابتكار مرهونة بعواملٍ داخلية: سياسيّة، واجتماعيّة، واقتصاديّة، وثقافيّة، فضلاً عن العوامل الخارجيّة. والبحث في الهوية بحثٌ مُزدوجٌ، فهو بحثٌ فيها، وبحثٌ عنها، وكلٌّ منهما يختلف عن الآخر، ف((البحث في الهوية، بحثٌ معرفيٌّ، أمّا البحث عن الهوية فبحثٌ إيديولوجيٌّ غالباً. البحث في الهوية بحثٌ صنّع لهذه الهوية، ومتابعٌ لصنعها باستمرار، أمّا البحث عنها، فيعني أنّ الهوية مُنجزّة، ولكنّها بائنة يجب البحث عنها لاستردادها)) (39)؛ لذا فإنّ البحث فيها، يُواجه تحدّياتٍ كبيرة، منها الثقة المفرطة بالآخر، التي تودّي إلى الوقوع في شركه، وهذا ما عكسه (صبري) في رواية (الطريق إلى الشمس، الجوزاء) حين وصف البراءة التي اتّسم بها العرب في تعاملهم مع الغرب بقوله: ((كأنّ أبرياء وما أسهل أن تخدع بريئاً لم يعرف الخداع والمكيدة من قبل... نحن خارجون من قلب الصحراء ... من قلب الطبيعة، من قلب البراءة، وهم ذوو باعٍ طويلٍ في التأمّر والكيد، في خدع الاستعمار وأحبابه، فكيف لا يمكنهم أن يخدعونا؟)) (40). الخطاب المُقدّم عبر الرؤية السردية يُلخّص عطف العرب في علاقتهم مع الآخر؛ إذ أصبحوا فريسة سهلة أمام الاستعمار، فموقفهم منه، هنا، موقفٌ سلبيٌّ يتّسم بالعطالة والاستلاب، ولكنّه لا يبيق على حاله، ذلك أنّ خطاب الهوية يحفل بمفردات الاختراق، والغزو، والمحو في توصيفه للعلاقة مع الآخر، وهذا الأمر يدعو إلى ((إعادة النظر في مسألة الهوية وفي طريقة إدارتها والتعامل معها، بعد أن أمست أشبه بالداء أو العُصاب المُستحكم. بهذا المعنى ما نحتاج إليه هو الخروج من قوقعة الهوية ومعسكرات العقائد، لكي نتعاطى مع خصوصيّتنا ومُعطيات وجودنا، بصورةٍ حرّةٍ ونقديةٍ، وبطريقةٍ حيّةٍ مفتوحةٍ على الأحداث والتطوّرات، وذلك من أجل قلب الأولويّات، وإعادة إنتاج الهوية بشكلٍ يخرجها مخرجاً أكثر قوّةً وفاعليّةً وحضوراً)) (41). وقد ظهرت مشكلة (جورجي) في رواية (أول حب آخر حب)، فعلى الرغم من عيشه في أمريكا، فإنّه لم ينسّ عادات بلده، فهو ((محبوبٌ أينما وُجد، ربّما لهذونه وسلوكه مع الآخرين. مازال يحتفظ بما تلقّاه في طفولته، وحفظه في شبابه، وما لم يستطع التخلّي عنه. لم ينسّ عادات بلده ومُقدّساته)) (42). يتمسك (جورجي) بقيم بلده، ويراه سبيلاً لمواجهة الواقع الذي يعيشه في المجتمع الأمريكي، فالتمسك بالهوية يُمثّل خطّ الدفاع الأوّل أمام التحدّيات التي تُهدّد

(38): حرب، علي، حديث النهايات، فتوحات العولمة ومازق الهوية، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، ط2، 2004، ص(46).

(39): الحلاق، محمد راتب، نحن والآخر، دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1997، ص(53).

(40): ناصيف، عبد الكريم، الطريق إلى الشمس (الجوزاء)، ص(32).

(41): حرب، علي، حديث النهايات، فتوحات العولمة ومازق الهوية، ص(21).

(42): رشو، ماري، أول حب آخر حب، ص(96).

البطل، ولكن الأمر يختلف إلى درجة كبيرة مع (لين)، التي تظهر في حوارها مع (هند) غير معنّية بوطنها، فهي تجهل أحد أهم رموز النضال الوطني □ الاستعمار، وكأنّها تعيش حالة انفصام عن وطنها، وتماهٍ مع وطنها الجديد (أمريكا) :

((تابعت هند مُرِدَّةً " فيها إبراهيم هنانو. راكب عاظهر حصانو"
قاطعتها لين قائله:

يجب أن تنام فالن. إنّه موعد نومها. لكن. من هو إبراهيم هنانو ؟

-أسمعُ به منذ طفولتي. هل هو أحد أقرابنا ؟

- □ حكّت هند من أعماقها. قالت:

- هو يقرب كلّ عربيّ. إنّه منا □ ل سورّي. حارب الاستعمار الفرنسي في بلادنا)) (43). حال التغريب التي تعيشها (لين)، جعلتها غير مكترثة بما □ أمّتها وتاريخها، ولعلّ سلوكها ذلك يدعو إلى التمسك بالهويّة.

المُتأمل في الخطاب العربي المعاصر، يجد أنّه بقي رهيناً لتجاذباتٍ داخلية، ونزاعٍ بين الإسلامي والعلماني والقومي...، ممّا جعل الوصول إلى مشروعٍ فكريّ عربيّ في مواجهة الآخر أمراً شبه مستحيل، فقد ((ظلّ العرب يتعرّ □ ون كلّ يومٍ لاعتداءٍ جديدٍ من الغرب، وإن اتّخذ هذا الاعتداء في كلّ مرّة صورةً مختلفةً، فهو اعتداءٌ عسكريّ مرّةً، وسياسيّ مرّةً، واقتصاديّ مرّةً، وثقافيّ مرّةً، ولكّنه في جميع الأحوال واحدٌ في جوهره: حضارةٌ قويّةٌ يعتادها واقتصادها وثقافتها بنفسها، تعتدي على حضارةٍ أصابها الوهن الشديد في عتادها واقتصادها وثقافتها بنفسها، فإذا بالحضارة المُعتدى عليها تسأل نفسها، وتعيد على نفسها السؤال في كلّ مرّةٍ يتجدّد عليها الاعتداء: ما سبب كلّ هذا الوهن؟ ما هو الذي تنطوي عليه حضارتي "أو ثقافتي")) (44)؛ ليغدو سؤال الهوية مفتوحاً، ولا إجابة شافية عنه، فمسألة الهوية تُمثّل إشكاليةً مركزيةً في الوعي العربي، وعلى الرغم من ذلك لم يُقدّم الخطاب العربي مشروعاً حضارياً قادراً على مواجهة التحديّات التي يواجهها.

خاتمة:

عبّرت الرواية السورية عن إشكالية العلاقة مع الآخر، وسلّطت الضوء على ما لاقاه البطل من معاناةٍ في الغرب، وصوّرت الاختلاف الكبير بين المفاهيم والقيم والتقاليد الاجتماعية، التي تحكم علاقة الإنسان بمحيطه في المجتمع الغربي، وما ترسّب في وعي البطل في موطنه، وأشارت كذلك إلى مسألة زواج العربي من الأجنبية، وما ربّبه على عاتقه من أعباءٍ وهمومٍ ومعاناةٍ نفسيةٍ واجتماعيةٍ، فضلاً عن التحديّ الأبرز الذي يواجهه في الغرب، والمتمثّل بصعوبة الاندماج في المجتمع الغربي.

عالجت الرواية السورية م □ وع الصراع بين الذات والآخر من زوايا مُتعدّدة، من ذلك الصراع في إطار السيطرة ومحاولة إخضاع الآخر بالقوّة، والصراع الناشئ من الاختلاف في التقاليد الاجتماعية والمفاهيم بين الشرق والغرب؛ إذ أسهم اختلاف الفضاء الاجتماعي في تغيير المشاعر والانطباعات وردود أفعال الشخصيات المُمثّلة للذات إزاء الواقع الذي تعيش في ظلّه

أشارت الروايات إلى قضيةٍ مهمّة، وهي مسألة التصوّرات والأحكام المُستقاة المُترسّبة في وعي كلّ من الطرفين حول الآخر، والتي أفضت إلى تأجيج الصراع الحضاري بين الشرق والغرب. فقد جاءت العلاقة الجنسية في إطارها الطبيعي، فلم تنطو على رغبةٍ في الانتقام من الغرب، بل كانت نتيجةً لإحساس البطل بالتحزّر ممّا لاقاه في وطنه من كبتٍ، وقمعٍ، وحرمانٍ...

المصادر والمراجع:

(43): رشو، ماري، أول حب آخر حب، ص(116-117).
(44): أمين، د.جلال، المثقفون العرب وإسرائيل، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998، ص(20).

- إبراهيم، د. عبد الله، المتخيل السردى، مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت، ط1، 1990.
- أفاية، محمد نور، الغرب المتخيل، صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000.
- أمين، د. جلال، المتفقون العرب وإسرائيل، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998.
- الأنصاري، د. محمد جابر، الفكر العربي وصراع الأ□داد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1999.
- البيطانية، جودي، شخصية الآخر في الرواية في الأردن، الوراق للطباعة والنشر، عمان، ط1، 2004.
- حداد، فواز، جنود الله، دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط1، 2010.
- حرب، علي، حديث النهايات، فتوحات العولمة وأمآزق الهوية، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، ط2، 2004.
- الحلاق، محمد راتب، نحن والآخر، دراسة في بعض الثنائيات المتداولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 1997.
- رشو، ماري: أول حب.. آخر حب، دار الحوار، اللاذقية، ط1، 2002.
- السمان، غادة، سهرة تنكزية للموتى، منشورات غادة السمان، بيروت، ط1، 2003.
- طرابيشي، جورج، شرق وغرب، رجولة وأثوثة، دار الطليعة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط4، 1997.
- عدوان، ممدوح، أعدائي، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2000.
- العبد، ديمنى، الرواية العربية، المتخيل وبنيتها الفنية، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011.
- مجموعة مؤلفين، صورة الآخر: العربي ناظراً ومنظوراً إليه، تحرير الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1999.
- هلسا، غالب، نقد الأدب الصهيوني، دراسة إيديولوجية نقدية لأعمال الصهيوني عاموس عوز، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1995.
- هنتغتون، صموئيل، الإسلام والغرب، آفاق الصدام، ترجمة مجدي شرشر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1995.
- هنتغتون، صموئيل، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوه، كتاب سطور، القاهرة، ط2، 1999.
- ناصيف، عبد الكريم: الطريق إلى الشمس (الجوزاء)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط. دمشق، 2000.
- يقطين، د. سعيد، تحليل الخطاب الروائي (الزمن-السرد-التبئير)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-بيروت، ط4، 2005.

İngilizce Kaynaklar:

- Abbott, Shirley, *The Future of Love* (Chapel Hill: Algonquin Books, 2008).
- Delillo. Don, *Falling Man*, scribner, new york. 2007.
- Melamd, Abraham, *The Image Of The Black In Jewish Culture, A History Of The Other*, First Published By The Dge Curzon. London, 2003.
- Waldman, Amy, *The Submission* (: Farrar, Straus And Giroux, New York) 2011.

Kaynakça

- 1-İbrahim, Abdullah, *El-Mutehayyel Es Serdi, Mukarabat Nakdiye fit Tenas ver-Rua ved- Dilale*, El Merkez Es Sekafi El Arabi Ed Dar'ul Beyza-Beyrut Et Tabatul Ula 1990.
- 2-Efaye, Muhammed Nur, *Suretu El Ahar fil Fikri El Arabi El İslami El Vasiit- El Merkez Es Sekafi El Arabi Ed Dar'ul Beyza-Beyrut Et Tabatul Ula – 2000.*
- 3-Emin, Celal, *El Musekkefunel Arab ve İsrail, DaruŞ Şuruk, El- Kahira, Et Tabatul Ula-1998.*
- 4-El Ensari, Muhammed Cabir, *El Fikrul Arabi ve Sira'u El-Ezded, El Müessesel Arabiyye lid Dirasat ven Neşr –Et Tabatus Saniye, Beyrut- 1999.*
- 5-El Bataine, Cudi, *Şahsiyyetul Ahar fir Rivaye fil Urdün*, El Varrak lit Tibaa ven Neşir, Amman Et Tabatul Ula, 2004.
- 6-Haddad, Fevvez, *Cunudullah*, Daru Riyadu'r Erreis lil Kutub ven Neşir Beyrut-Et Tabatul Ula 2010.
- 7-Harb, Ali, *Hadisun Nihayat*, El Merkez Es Sekafi El Arabi Ed Dar'ul Beyza-Beyrut Et Tabatus Saniye- 2004.
- 8-El Hallak, *Muhammed, Ratib, Nahnu Vel Ahar*, Menşuratu İttihadi El Kuttabil Arab-Dımaşk-1997.
- 9-Rışşo, Mari, *Evvel Hub Ahir Hub, Darul Hivar, Ellazikiyye*, Et Tabatul Ula - 2002.
- 10-Es Semman, Gade, *Sehratun tenekkuriyyetun lil Mevta*, Menşurat Gade Es-Semman, Beyrut-Et Tabatul Ula -2003.
- 11-Tarabişi, Corc, *Şark ve Garb Ruculetun ve Unusetun*, Darut Talia lit Tibaati ven Neşr, Beyrut-Et Tabatur Rabia-1997.
- 12-Udva n, Memduh, A'dai, *Daru Memduh Udvan lin Neşr, Dımaşk, Et Tabautul Ula-2000.*
- 13-El Iyd, Yunma, *Er-Rivayetul Arabiyye, El Mutehayyelu ve Bunyetuhu El Fenniye*, Darul Farabi, Beyrut, Et Tabatul Ula-2011.
- 14-Mecmuatu Muellifin, *SuretulAhar, El Arabiyyu Naziran ve Manzuran İleyhi*, Tahrir Et Tahir Lebib, Merkezi Dirasati El Vahdetil Arabiyye, BeyrutEt Tabatul Ula-1999.
- 15-Helse, Galib, *Nakdul Edebi Essuhyoni*, El Muessesetu'l Arabiyyetu lid Dirasati ven Neşri, Beyrut, Et Tabatul Ula-1995.
- 16-Hentikton, Samuel, *El İslamu Vel Garb, Afakus Sidam, Tercemetu Mecdi, Şarşar, Mektebetu Medbuli, El Kahira-Et Tabatul Ula-1995.*
- 17-Hentikton, Samuel, *Sidamul Hadarat, İdetu Sun'i En Nizami El Alemi*, Tercemetu Tal'at Eş Şayıb, Kitabı Suttur El Kahira-Et Tabatus Saniye-1999.
- 18-Nasif, Abdulkerim, *Et Tariku İleş Şemsi (El Cevza)*, Menşuratu İttihadi El Kuttabil Arab-Dımaşk- 2000.
- 19-Yaktin, Said, *Tahlilu El Hitabi er Rivai (ez Zemen, Es Serd, Et Teb'ir)*, El Merkez Es Sekafi El Arabi Ed Dar'ul Beyza-Beyrut Et Tabatur Rabia -2005.